ملخّص برنامج الخاتمة ـ الحلقة (٣٦٠) / عبد الحليم الغِزّي
على مائدة القمر ، شهر رمضان ١٤٤٣هـ (ج١٠)
طبق المخلّلات الحامضة (ق٣)
-شرح حديث الامام الرضا عليه السلام في منزلة الامام المعصوم
-الله جل جلاله يُعزّي فاطمة بشهادة رسول الله صلى الله عليهما وآلهما
-فاطمة صلوات الله عليها وديعة الله عندنا فكيف صنعنا مع وديعته ؟؟
الثلاثاء : ١٠/شهر رمضان/١٤٤٣هـ ـ الموافق ١٢/٤/٢٠٢٢م

هذا هو الجزءُ الثالثُ مِن عُنواننا المتقدِّمِ في الحلقاتِ الماضية؛ الطبقُ الرابع من أطباقِ مائدة القمر، وهوَ مِن أطباق البراءة، "طبقِ المخلَّلاتِ الحامضَة".
وصلتُ معكم في الحلقةِ الماضية إلى الحديث الرَّضوي الشريف الَّذي جاءَ مرويَّاً في الجزء الأوَّل من الكافي لشيخنا الكليني المتوفّى سنة (٣٢٨) للهجرة، قرأتُ جانباً من هذا الحديثِ الطويلِ المفصَّل، وسأستمرُّ في قراءةِ ما بقيَ من العبائر الَّتي ترتبطُ بموضوعنا.
قرأتُ عليكم: **فَمَن ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الإِمَام أَوْ يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُه هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ضَلَّت العُقُولُ وتَاهَت الحُلُومُ وحَارَت الأَلْبَابُ وخَسِئَت العُيُون وتَصَاغَرَت العُظَمَاءُ وتَحيَّرت الحُكَمَاءُ وتَقَاصَرت الحُلَمَاء وحَصِرَت الخُطبَاء وجَهِلَت الأَلِبَّاء.**
وصلنا إلى هنا: **وجَهِلَت الأَلِبَّاء** ـ الجهلُ معلومٌ لديكم الألبَّاءُ جمعٌ لِلبيب، واللَّبيبُ هو العاقلُ الحليمُ الحكيم، وماذا بعد؟ ـ **وكَلَّت الشُّعَرَاءُ** ـ الشُّعراءُ أصابَهم الكلل، والكللُ هوَ نحوٌ من أنحاء العجز ليسَ عجزاً كاملاً إنَّما هي مُحاولاتٌ معَ الفشل، محاولاتٌ ناقصةٌ، هل وجدتُم شِعراً عندَ شعراءِ أهلِ البيت يرتقي إلى مستوى معرفتهم صلواتُ اللهِ عليهم؟
وعَجَزَت الأُدَبَاء ـ أمَّا الأُدَبَاءُ فقد عجزوا عجزاً كاملاً، لماذا؟ الشُّعراءُ يتحرَّكونَ في دائرةٍ ضيّقة، أمَّا الأُدَبَاءُ يتحرَّكونَ في دائرةٍ أوسع، الشُّعراءُ يُمثِّلونَ صِنفاً من أصناف الأُدَبَاء، ودائرةُ حركتهم ونشاطهم ضيِّقةٌ بسببِ قواعد الشعرِ، بسببِ قِلَّةِ المفرداتِ الَّتي تتناسبُ معَ الصورِ الشعريَّةِ الجميلة، فدائرةُ الشِّعرِ ضيِّقة، بينما دائرةُ الأدبِ بنثرِهِ الفَنِّي، وبنثرِهِ غيرِ الفنِّي دائرةٌ واسعةٌ، إلَّا أنَّهم أعلنوا عَجْزَهم ـ **وعَيَّت البُلَغَاءُ** ـ العيّ هو الانقطاع، أصابني العيّ انقطعَ عِندي الكلام ولا أستطيعُ أنْ أُرَتِّب جُملةً واحدة، انقطع الكلامُ وبقيتُ ساكتاً، والبُلغاءُ هُم الخواصُّ مِنَ الأُدَبَاء، الشُّعراءُ صِنفٌ مِنَ الأُدباءِ وهُم الَّذين يمتلكونَ حِسَّاً شاعريَّاً رائعاً ورائقاً ويستطيعونَ أن يرسموا، أن يُعَبِّروا عن حسِّهم الشعري هذا، هؤلاءِ هُم الشُّعراء، أمَّا البُلَغاءُ قد يكونونَ مِنَ الشُّعراءِ، وقد يكونونَ مِنَ النَّاثرين، ومِنَ الخُطباءِ، ومِنَ الكُتَّاب، لكنَّهم في أعلى درجةٍ من درجات الأدب ـ **وعَيّت البُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأنِه** ـ كُلُّ هذهِ الطاقاتُ في حالةِ عَجزٍ ـ **أو فَضِيلَةٍ مِن فَضَائِلِه، وَأَقَرَّت بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِير** ـ كُلُّ الطاقات، كُلُّ المواهب، هذهِ النتيجةُ الصحيحةُ الَّتي وصلوا إليها، هذا دليلُ توفيقهم، لو لم يصلوا إلى هذهِ النتيجة لَمَا كانوا مُوفَّقين، صاحبُ الموهبةِ الموفَّقُ الَّذي يسعى في طريقِ معرفةِ إمامِ زمانهِ إذا ما وصلَ إلى هذهِ النتيجةِ برؤيةٍ واضحة فهذا يدلُّ على أنَّهُ مُوفَّقٌ فائزٌ رابحٌ في معرفةِ إمامِ زمانهِ.
ثُمَّ يقولُ إمامُنا الرِّضا: **وَكَيْفَ يُوْصَفُ بِكُلِّه** ـ إذا كانت كُلُّ هذهِ الإمكانات عاجزةً عن وصفِ شأنٍ من شأنهِ، أو فضيلةٍ من فضائله، فكيفَ يستطيعونَ أن يصفوهُ أو أن يعرفوهُ بِكُلِّه.
ـ **أو يُنْعَتُ بِكُنْهِه** ـ وهذا هو الأعظم، كُنهُ الشيء أسرارُ حقيقتهِ، نحنُ عاجزونَ عن وصفِ شأنٍ مِن شأنهِ، عن وصفِ فضيلةٍ من فضائلهِ، فأنَّى لنا بِكُنهِ أسرارهِ، وبِكُنهِ باطنهِ، وبِكُنهِ غَيبِ غُيُوبهِ صلواتُ اللهِ عليه.
ـ **أو يُفْهَمُ شَيءٌ مِن أَمْرِه أو يُوجَدُ مَن يَقُومُ مَقَامَه وَيُغْنِي غِنَاه لَا كَيْفَ وَأَنَّى وَهُو بِحَيثُ النَّجم مِن يَدِ الْمُتَنَاوِلِين** ـ المرادُ بالمتناولينَ هُنا الَّذينَ يُريدونَ أن يتناولوا معرفةَ الإمامِ بِعُقولهم.
ـمِن يَدِ الْمُتَنَاوِلِين وَوَصْفِ الوَاصِفِين فَأَيْنَ الاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا ـ إمامُنا الرِّضا يُشيرُ إلى ما ذهبت إليهِ سقيفة بني ساعدة في دينها، فإنَّ دينَ السقيفةِ يقول مِن أنَّ الأُمَّةَ هي الَّتي تختارُ أئِمَّتها ـ **فَأَيْنَ الاخْتِيَارُ مِن هَذَا وأَيْنَ العُقُولُ عَنْ هَذَا وأَيْنَ يُوْجَدُ مِثْلُ هَذَا** ـ "وَأَيْنَ العُقُولُ عَنْ هَذا"؛ هذهِ سقيفةُ بني طوسي، فإنَّهم يَزنونَ مقامات الأئِمَّةِ بحسبِ قواعدِ عِلم الكلام، وبحسبِ مداركهم القاصرةِ الجاهلة ـ **وأَيْنَ يُوْجَدُ مِثْلُ هَذَا** ـ إنَّهُ بقيَّةُ الله الأعظم.
مثلما يقولُ إمامنا الرِّضا في مقطعٍ آخر في جملةٍ جميلةٍ وهو يُخبِرنا عن إمامِ زماننا: (**الإِمَامُ كَالشَّمْس الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَم وهِيَ فِي الأُفُق بَحيثُ لَا تَنَالُها الأَيْدِي والأَبْصَار**).
وفي عبارةٍ أخرى يتحدَّثُ إمامُنا الرِّضا في شأنٍ من شؤونِ الإمام، الإمامةُ شأنٌ من شؤونِ الإمام، يقول: (**إنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّيْن ونِظَامُ الْمُسْلِمِين وصَلاحُ الدُّنْيَا وعِزُّ الْمُؤْمِنِين، إنَّ الإِمَامَةَ أُسُّ الإِسْلَام النَّامِي وفَرْعُهُ السَّامِي**)، فالإمامةُ هي الأصولُ والفروع.
كُلُّ هذا الكلام لا يُخبرنا عن مقام الإمامِ المعصوم، هذا الكلام يُخبرنا عن عَجْزنا، عن عَجزِ عُظماء الشيعةِ، عن عَجزِ حُكماء الشيعةِ، عن عَجزِ حُلمائهم وخُطبائهم وألبَّائهم وشُعرائهم وأدباءهم وبُلغائهم، فَكُلُّ الكلامِ يتحدَّثُ عن هذهِ الحقيقة، هذهِ الحقيقةُ إذا صارت واضحةً لدينا إنَّها تُشيرُ إلى عظمةِ مَقام الإمامِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه بالإجمال.

في (الكافي الشريف)، الجزءِ الأوَّل/ طبعةُ دار الأسوة/ طهران/ إيران/ الباب الَّذي عنوانهُ؛ (بابُ مولد النَّبي صلَّى اللهُ عليه وآله ووفاتهِ)، الصفحةِ السادسةِ بعدَ الخمسمائة/ الحديثُ التاسعَ عشر: **عَن إمَامِنا البَاقِرِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه** - الروايةُ هذهِ تشتملُ على لقطةٍ من مُجرياتِ ما جرى بعدَ استشهادِ رسول اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وآله حيثُ قضى مسموماً، إمامنا الباقر يقول: **لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ بَاتَ آلُ مُحَمَّدٍ بِأطْوَلِ لَيْلَةٍ حتَّى ظَنّوا أنْ لَا سَمَاءَ تُظِلُّهُم ولَا أَرْضَ تُقِلُّهُم** - لماذا؟ - **لِأنَّ رَسُولَ اللهِ وتَرَ الأَقْرَبِينَ والأَبْعَدِينَ فِي اللهِ** - وَتَرَ الأَقْرَبِينَ وَالأَبْعَدِينَ فِي اللهِ؛ فهو لم يُجامِل، لم يُصانِع، رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله قرَّبَ الأبعدينَ إليهِ، وأَبْعدَ القريبينَ إليهِ بحسبِ قَبُولِهم للحقّ، القريبُ والبعيدُ عندَ رسول اللهِ على حدٍّ سواء، الميزانُ ميزانُ الهدايةِ والحقّ، رسولُ الله قرَّبَ سلمانَ الفارسي وأبعدَ أشرافَ قريش وما هُم بأشراف هكذا في نظر النَّاسِ يقولونَ عنهُم أشراف، وهذا سيجعلُ النَّاسَ يُعادُونهم، من الحُجج الَّتي طرحتها سقيفةُ بني ساعدة في غَدْرها ببيعة الغدير؛ "مِن أنَّ عليَّاً قتلَ الكثيرَ مِنَ العرب، والعربُ لا يُحبّونهُ، قَتَّالُ العرب"، الأمرُ هُوَ هُوَ معَ رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله.

- فَبَينَا هُم كَذَلِك إذْ أَتَاهُم آتٍ لَا يَرَونَهُ وَيَسْمَعُونَ كَلَامَه، فَقَال: السَّلَامُ عَلَيْكُم أَهْلَ البَيْت وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه، إنَّ فِي اللهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ - "عَزَاءً"؛ تسليةً مواساةً - **ونَجَاةً مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ودَرْكاً لِمَا فَات كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوت وإنَّما تُوَفّونَ أُجُورَكُم يَوْمَ القِيَامَة فَمَن زُحْزِحَ عَن النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّة فَقَد فَازَ ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلَّا مَتَاعُ الغُرُور، إنَّ اللهَ اخْتَارَكُم وَفَضَّلَكُم وطَهَّرَكُم وَجَعَلَكُم أَهْلَ بَيْت نَبِيِّه واسْتَوْدَعَكُم عِلْمَهُ وأَوْرَثَكُم كِتَابَهُ وجَعَلَكُم تَابُوتَ عِلْمِه** - التَّابوت هو الصندوق - **وعَصَا عِزِّه** - إشارات هُنا إلى تابوت السكينةِ، إلى تابوتِ بني إسرائيل، وإلى عصا موسى، هذهِ التعابيرُ تعابيرُ على نحو الاستعارةِ والمجاز - **وضَرَبَ لَكُم مَثَلاً مِن نُوْرِه** - هذا المَثَلُ الَّذي ضربهُ سُبحانهُ وتعالى ما جاءَ في سورة النور، ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاواتِ وَالأَرْض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾، إلى آخر الآية الكريمة - **وعَصَمَكُم مِنَ الزَّلَل وآمَنَكُم مِنَ الفِتَن فَتَعَزّوا بِعَزَاءِ الله** - بتسلية اللهِ لكم، بمواساة اللهِ لكم - **فَإنَّ اللهَ لَم يَنْزَع مِنْكُم رَحْمَتَه ولَن يُزِيلَ عَنْكُم نِعْمَتَه فَأَنْتُم أَهْلُ الله** - هذا البيانُ الَّذي ينقلهُ لنا إمامُنا الباقر صلواتُ اللهِ عليه قطعاً نقلهُ لنا بحسبِ قواعدِ المداراة وهو يُخاطِبنا، هذا البيانُ في أصلهِ رسالةٌ من اللهِ إلى آلِ مُحَمَّد لتعزيتهم بفقدهم لرسول الله، اللهُ يقولُ لهم: **(فَأَنْتُم أَهْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)**، حينما نُصَلِّي عليهم ونقول: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ آلِ الله وأَهْلِ الله)، هذهِ المضامينُ أخذناها من هذهِ الرواياتِ والأحاديث.

- الَّذِينَ بِهِم تَمَّت النِّعمَة واجْتَمَعَت الفُرْقَة وَائْتَلَفَت الكَلِمَة وأَنْتُم أَوْلِيَاؤهُ فَمَن تَوَلَّاكُم فَازَ ومَن ظَلَمَ حَقَّكُم زَهَق - زَهَقَ الباطلُ؛ اندثرَ وتلاشى ومُحِق - **مَوَدَّتُكُم مِنَ اللهِ واجِبَةٌ فِي كِتَابِه عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِين، ثُمَّ اللهُ عَلَى نَصْرِكُم إذَا يَشَاءُ قَدِير، فَاصْبِرُوا لِعَوَاقِبِ الأُمُور فَإنَّها إلَى اللهِ تَصِير، قَد قَبِلَكُم اللهُ مِن نَبِيِّه وِدِيعَةً** - فَإنَّ رَسُول اللهِ قد استودَعهم عندَ اللهِ وعندَ المؤمنين - **واسْتَوْدَعَكُم** - اللهُ سُبحانهُ وتعالى جعلَ آلَ مُحَمَّدٍ وديعةً عندنا فماذا صنعنا مع وديعةِ الله؟ حينما نُحِبُّ أحداً من أبنائنا من أرحامنا من أصدقائنا من اخواننا المؤمنين ففي بعض الحالاتِ لمرضٍ، لسفرٍ، لأمرٍ مُهِمٍّ، نتوجَّهُ إلى الله ونقول مِن أنَّ فُلاناً وديعةٌ عندك، نحنُ نضعُ الودائعَ عندَ الله ونريدُ مِنَ الله أن يحفظَ لنا هذهِ الودائع، نحنُ ماذا صنعنا بوديعة اللهِ عندنا؟

- واسْتَوْدَعَكُم أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الأَرْض فَمَن أَدّى أَمَانَتَهُ آتَاهُ اللهُ صِدْقَه - صدقهُ في الدُّنيا قبلَ صِدقهِ في الآخرة، آتاهُ صِدقَ المعرفة، وصِدقَ الحكمة - **فَأَنْتُمُ الأَمَانَةُ الْمُسْتَودَعَة، وَلَكُم الْمَوَدَّةُ الواجِبَة، والطَّاعَةُ الْمَفْرُوضَة، وقَد قُبِضَ رَسُولُ الله وقَد أَكْمَلَ لَكُم الدِّيْن، وبَيَّنَ لَكُم سَبِيلَ الْمَخْرَج، فَلَم يَتْرُك لِجَاهِلٍ حُجَّةً، فَمَن جَهِلَ، أَو تَجَاهَلَ، أو أَنْكَرَ، أَو نَسِيَ، أو تَنَاسَى، فَعَلَى اللهِ حِسَابُه، واللهُ مِنْ وَرَاء حَوائِجِكُم، واسْتَودِعُكُم الله، والسَّلامُ عَلَيكُم** - وانتهت الرّسالة.

فَسَألتُ أَبَا جَعْفَر - الَّذي يروي لنا هذهِ الرواية - **مِمَّن أَتَاهُم التَّعْزِيَة؟** - هذهِ التَّعزيةُ هذهِ الرّسالةُ، هذا البيانُ من أينَ جاءهم؟ - **فَقَالَ: مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى** - قطعاً هذهِ الصياغةُ بَيَّنها لنا إمامُنا الباقرُ صلواتُ اللهِ عليه وفقاً لقواعدِ المداراة، فإنَّ الكلامَ فيما بينهم وبينَ اللهِ نحنُ لا نُدركُ أبعادهُ، وهُم قالوا مِن أنَّهم لا يُكَلِّمونَ النَّاسَ إلَّا على قدرِ عُقُولِ النَّاس، فهم لا يُكَلِّمونَ النَّاسَ على قدرِ عُقولهم صلواتُ اللهِ عليهم، قطعاً رسالةُ التَّعزيةِ الَّتي جاءت من اللهِ إليهم لنْ تكونَ بمستوى التعابيرِ هذه، فذاكَ شيءٌ فيما بينهم وبينَ اللهِ، إلَّا أنَّ الإمامَ الباقرَ يُقَرِّبُ لنا الفِكرة، ويُقَرِّبُ لنا المضمونَ بهذهِ التعابير.

أهمّ مَطلبٍ تحدَّثت هذهِ الرّسالةُ عنه: **(واسْتَوْدَعَكُم أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الأَرْض)**، آلُ مُحَمَّدٍ وديعةُ اللهِ بيننا، فماذا صنعنا بوديعة اللهِ؟! وما هو موقفنا من وديعة الله؟!

إمامُنا الصَّادقُ يقول صلواتُ اللهِ عليه؛ (لَو أَدركتُ القَائِمَ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي)، هل استطعنا أنْ نُحَقِّق شيئاً يسيراً، شيئاً قليلاً إلى أبعدِ الحدود يُقاربُ شيئاً مِن مضمونِ ما قالهُ الصَّادقُ صلواتُ اللهِ عليه؟ نحنُ حتَّى إذا قَدَّمنا خِدمةً لإمامِ زماننا أو أردنا أن نُقَدِّمَ خدمةً لإمامِ زماننا فعندنا شروطٌ عليه، صحيحٌ نحنُ لا نُعلِنُها بألسنتنا وإنَّما هي في ضمائرنا، وبعدَ ذلكَ نرى أنفُسنا أنَّنا قَدَّمنا وقَدَّمنا، هذهِ الوديعةُ وديعةُ الله بينَ أظهُرنا..

في عوالم العلوم ومستدركاتها:

- "العوالم"؛ لعبد الله البحراني.

- "والمستدركاتُ"؛ لمؤسَّسة الإمام المهدي في مدينة قم.

الجزء الثاني من (عوالم الزَّهْرَاء) من عوالم فَاطِمَة/ طبعةُ مؤسَّسة الإمامِ المهدي/ قم المقدَّسة/ صفحة (٥٥٢)، الحديثُ الحادي عشر: **عَن إمَامِنا مُوسَى بن جَعفَر** - عن إمامنا الكاظم صلواتُ اللهِ عليه، يقول: **قُلتُ لِأَبي** - لأبي الصَّادق - **فَمَا كَانَ بَعْدَ خُرُوج**

الْمَلَائِكَةِ مِن عِنْدِ رَسُولِ الله - الروايةُ تتحدَّثُ عن اللحظات الأخيرة، عن الأيَّام الأخيرةِ مِن حياةِ رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله، إمامُنا الصَّادقُ أجاب؛ **لَمَّا كَانَ اليَومُ الَّذِي ثُقُلَ فِيهِ وَجَعُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله وخِيْفَ عَلَيهِ الْمَوْت، دَعَا عَلِيّاً وفَاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسَين وقَالَ لِمَن فِي بَيْتِهِ: اخْرُجُوا عَنِّي** - أريدُ أنْ اختَلِي بأهلِ بيتِي - **فَقَالَ لِأُمِّ سَلَمَة: كُوْنِي عَلَى البَاب فَلَا يَقرُبُهُ أَحَد، فَفَعَلَت أُمُّ سَلَمة، فَقَالَ: يَا عَلِيّ فَدَنَا مِنهُ، فَأَخَذَ بِيَدِ فَاطِمَةَ فَوضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ طَوِيلاً، وأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ بِيَدِهِ الأُخْرَى** - إلى أنْ قالَ رسولُ الله لأميرِ المؤمنين في لحظاتِ الوداعِ هذهِ - **يَا أَبَا الحَسَن، هَذِهِ وَدِيعَةُ الله ووَدِيعَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ عِنْدَك** - قالَ هذا الكلام بعدَ أنْ وضعَ يَدَ فَاطِمَة في يدِ أمير المؤمنين - **فَرَفَعَ رَأسَهُ** - رسولُ الله - **فَرَفَعَ رَأسَهُ إِلَيهِم ويَدُهَا** - يدُ فَاطِمَة - **فِي يَدِهِ فَوضَعَهَا فِي يَدِ عَلِيٍّ وقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الحَسَن، هَذِهِ وَدِيعَةُ الله ووَدِيعَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ عِنْدَك فَاحْفَظ اللهَ واحْفَظْنِي فِيْهَا وإِنَّكَ لَفَاعِل** - المشكلةُ عندنا، هل حَفَظنَا هذهِ الوديعة؟ هذهِ وديعةُ الودائع، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ وديعةُ اللهِ عندنا، وديعةُ مُحَمَّدٍ عندنا، فَاطِمَةُ وديعةُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ عندنا، هل حَفَظنَا هذهِ الوديعة؟ ماذا فعلنا مع هذهِ الوديعة؟ أنا لا أتحدَّثُ عن سقيفةِ بني ساعدة، ماذا نتوقَّعُ منهم؟! قتلوا فَاطِمَة، لا شأنَ لنا بهم، أنا أُحَدِّثكم أنتُم الَّذينَ تقولونَ نحنُ شيعةٌ لفَاطِمَة حديثي معكم، حديثي مع نفسي أوَّلاً، ومعكم ثانياً، هل حفظنا هذهِ الوديعة؟

نستمرُّ في قراءةِ جانبٍ آخر من كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله: **واعْلَم يَا عَلِيّ** - والكلامُ وحقِّ عليٍّ هو لي ولكم، وليسَ لعليٍّ - **واعْلَم يَا عَلِيّ، أَنِّي رَاضٍ عَمَّن رَضِيَت عَنْهُ ابْنَتِي فَاطِمَة، وكَذَلِكَ رَبِّي والْمَلَائِكَة** - رِضَاهُم مِن رِضَا فَاطِمَة، إلى أنْ يقولَ صلَّى اللهُ عليه وآله - **واللهِ يا فَاطِمَة، لَا أَرْضَى حَتَّى تَرْضي، لَا أَرْضَى حَتَّى تَرْضي، ثُمَّ لَا أَرْضَى حَتَّى تَرْضي.**

في موطنٍ آخر من كلماتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله في اللحظاتِ الأخيرةِ من حياتهِ: **يَا بُنَيَّة** - يُخاطِبُ فَاطِمَة - **يَا بُنَيَّة، أَنْتِ الْمَظْلُومَةُ بَعْدِي، وأَنْتِ الْمُسْتَضْعَفَةُ بَعْدِي، فَمَن آذَاكِ فَقَد آذَانِي، ومَن غَاظَكِ فَقَد غَاظَنِي ومَن سَرَّكِ فَقَدْ سَرَّنِي، ومَن بَرَّكِ فَقَد بَرَّنِي ومَنْ جَفَاكِ فَقَد جَفَانِي، ومَنْ وَصَلَكِ فَقَد وصَلَنِي، ومَن قَطَعَكِ فَقَدْ قَطَعَنِي، ومَن أَنْصَفَكِ فَقَد أَنْصَفَنِي، ومَن ظَلَمَكِ فَقَد ظَلَمَنِي، لِأَنَّكِ مِنِّي وأَنَا مِنْكِ، وأَنْتِ بَضْعَةٌ مِنِّي ورُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَي، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِه: إِلَى اللهِ أَشْكُو، إِلَى اللهِ أَشْكُو ظَالِمِيكِ مِن أُمَّتِي** - ألا لعنةٌ لعنةٌ على من ظَلَمَ فَاطِمَة وآلَ فَاطِمَة، ألا لعنةٌ لعنةٌ لعنةٌ على من قتلَ فَاطِمَة وآلَ فَاطِمَة.

المضامينُ المتقدِّمةُ هي هي تجدونها في زيارة الزَّهراء، مِن هُنا لابُدَّ أن نعرفَ أهميَّةَ نصوص الزيارات لأنَّها المصدرُ النقيُّ الواضحُ للشيعةِ كي يأخذوا معرفتهم، كي يأخذوا عقيدتهم منها، لكنَّ الشيعةَ لا يفعلونَ ذلك لماذا؟ لأنَّ مراجع النَّجفِ لا يفعلونَ ذلك، لماذا؟ لأنَّ نواصبَ سقيفةِ بني ساعدة ليسَ مِن مُفرداتِ عِلمِهم وثقافتهم الزيارات، فهم لا يمتلكونَ نصوصَ زيارات، مراجعُ النَّجف رَتَّبوا دينهم بحسبِ دينِ سقيفةِ بني ساعدة، ومِن هُنا أهملوا الزيارات.

المضامينُ المتقدِّمةُ موجودةٌ في زيارةِ الصدِّيقة الكبرى، في (مفاتيح الجنان) هكذا نُخاطبها: **صَلَّى اللهُ عَلَيكِ** - يا أمَّ الحَسَنِ والحُسَين - **وعَلَى رُوْحِكِ وبَدَنِك** - "صَلَّى اللهُ عليكِ"؛ على حقيقتكِ وهي أعظمُ مِن أنْ تكونَ محدودةً في بدنٍ محدودٍ تكونُ فيهِ روحٌ بحدودِ ذلكَ البدن، حقيقةُ فَاطِمَة أعظمُ مِن كُلِّ الصورِ الَّتي في أذهاننا، ورُوحها وبدنها مِن مظاهرها، فالصَّلاةُ تترى على كُلِّ مظاهرها - **أَشْهَدُ أَنَّكِ مَضَيتِ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّك، وأَنَّ مَن سَرَّكِ فَقَد سَرَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وآله، ومَن جَفَاكِ فَقَد جَفَا رَسُولَ الله، ومَن آذَاكِ فَقَد آذَى رَسُولَ الله، ومَن وصَلَكِ فَقَد وصَلَ رَسُولَ الله، ومَن قَطَعَكِ فَقَد قَطَعَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله، لِأَنَّكِ بَضْعَةٌ مِنْه ورُوحُهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيه، أَشْهَدُ اللهَ ورُسُلَهُ ومَلائِكَتَهُ** - هذا إعلانٌ بحفظِ الوديعة؛ - **أَنِّي رَاضٍ عَمَّن رَضِيتِ عَنْه، سَاخِطٌ عَلَى مَن سَخِطتِ عَلَيه، مُتَبَرِّئٌ مِمَّن تَبَرَّأتِ مِنه، مُوَالٍ لِمَن وَالَيْتِ، مُعَادٍ لِمَن عَادَيتِ، مُبْغِضٌ لِمَن أَبْغَضْتِ مُحِبٌّ لِمَن أَحْبَبتِ وكَفَى بِاللهِ شَهِيداً** - هذا الإعلانُ إعلانٌ لحفظِ الوديعة، فَاطِمَةُ وديعةُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ عندنا، الشيعةُ ماذا فعلوا مع فَاطِمَة؟

- أوَّلاً: أنكروا إمامتها.

- ثانياً: أنكروا ظُلامتها، أنكروا جريمةَ قَتلِها.

- ثالثاً: برَّأوا أعداءها من دمها ومن تعذيبها ومِمَّا جرى عليها.

القائمةُ طويلةٌ وطويلةٌ جدَّاً، جعلوا منزلتها دونَ منزلة الأئِمَّة، هكذا يقولُ مراجعُ الشيعة.

زُوَّار الحُسينِ الَّذينَ يزورونهُ عارفينَ بحقِّهِ هؤلاءِ يُمكننا أن نصفهم بأنَّهم مِمَّن حَفَظَ الوديعة، في (كامل الزيارات) لشيخنا ابن قولويه رضوانُ اللهِ تعالى عليه، طبعةُ مكتبةِ صدوق، طهران – إيران، الصفحةِ الخامسةِ والعشرين بعدَ المئة، البابُ الأربعون، الحديثُ الثاني: **بِسَنَدِهِ** - بسندِ ابن قولويه - **عَن مُعاوِيَةَ بنِ وَهَب قَالَ: اسْتَأذَنتُ عَلَى أَبِي عَبد الله** - على إمامِنا الصَّادق - **وَقَد سَمِعَ مِنهُ يَدْعُو لِزُوَّارِ الحُسَينِ وَهُو فِي حَالِ سُجُودِهِ** - أذهبُ إلى موطنِ الحاجةِ، الإمامُ الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه في حالِ سُجودٍ كان يدعو لزوَّارِ الحُسين: **فَارْحَم تِلْكَ الوجُوهَ الَّتِي غَيَّرتهَا الشَّمْس، وارْحَم تِلْكَ الخُدُودَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ عَلَى حُفْرَةِ أَبِي عَبد الله الحُسَين، وارْحَم تِلْكَ الأَعْيُنَ الَّتِي جَرَت دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَم تِلْكَ القُلُوبَ الَّتِي جَزَعَت واحْتَرَقَت لَنَا، وارْحَم تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَت لَنَا.**

ثُمَّ ماذا يقولُ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللهِ عليه: **اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَودِعُكَ تِلْكَ الأَبْدَانَ، وتِلْكَ الأَنْفُس، حَتَّى تَرْوِيَهُم عَلَى الحَوضِ يَومَ العَطَشِ الأَكْبَر** - الإمامُ الصَّادقُ يجعلُ زُوَّارَ الحُسَينِ وديعةً، وديعةً عندَ اللهِ سُبحانهُ وتعالى إلى يوم القيامة، هذا الأمرُ مِن ذاكَ الأمر كما يُقال (هذهِ من تلك)، مَنْ وَصَلَهُم فإنَّهم يَصِلُونَه، (مَن لَزِمَنَا لَزِمْنَاه)، هذا هو القانون، حينما يَحفظُ الوديعة فإنَّ الصَّادقَ يجعلُ منهُ وديعةً عندَ الله.

خُلاصةُ القولِ بعد كُلّ هذهِ التفاصيل:
معرفةُ الإمامِ تأتي بالتوفيق، معرفةُ الإمامِ صحيحٌ نحنُ نحتاجُ فيها إلى الكتابِ، وإلى الورقةِ، وإلى القلمِ، وإلى الدرسِ والمُدارسةِ، وإلى حفظِ الآياتِ والنُصوصِ، إلى غيرِ ذلك، نحنُ بحاجةٍ إلى كُلّ مُفرداتِ وسائلِ التعليم، نحتاجُها كي نتعلَّم من خِلالها، لكنَّ أَلَقَ المعرفةِ الحقيقيَّة، ونُورَ المعرفةِ لا يُشرِقُ في العقلِ وفي القلبِ إلَّا بتوفيقٍ من إمامِ زماننا، وسائلُ التعليمِ مهمَّةٌ ويجبُ علينا أن نتعاملَ معها وأن نتواصلَ معها على طول الوقت، لكنَّ الأصلَ في ذلك التوفيق، معرفةُ الإمامِ معرفةٌ تأتي من جهة التوفيق، وهذا التوفيقُ لن يتحقَّقَ إلا بأسباب.
الخدمةُ الصَّادقةُ سببٌ مهمٌّ من أسبابِ حصول التوفيقِ لنا، وهذهِ الخدمةُ هي مِصداقٌ من مصاديقِ حفظ الوديعة، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ وديعةُ الله بينَ أظهُرنا.
المعادلةُ الأخيرة:
- معرفةُ الإمام غايتُنا.
- وهذهِ الغايةُ تتحقَّقُ من خلال التوفيق.
- والتوفيقُ يتحقَّقُ من خِلالِ الخدمةِ الصحيحة الَّتي هي جزءٌ من حفظِ الوديعة، الخدمةُ الصحيحة لا تتحقَّقُ إلَّا بالعقيدةِ السليمة.
والعقيدةُ السليمة لن تكونَ سليمةً إلَّا أن تُؤخذَ من المصدرينِ الخاصّين بها:
- قُرآنُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ المفسَّرُ بتفسيرهم.
- وحديثُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ المفهَّمُ بتفهيمهم.